السنة الثالثة والستون

ايار – حزيران ١٩٦٩

نشيد الشمانين

للقديس رومانس المرنّم

عرّبه عن اليونانية وعلّق عليه

الارشمندريت نقولا قادري الراهب الشويري

توطئة

كان ذلك في شهر نيسان. حين بدأ الخبر ينتشر. انتشر الخبر بتيامة لعازر بين سكان اورشليم القريبة من بيت عنيا حيث كان لعازر. والى اورشليم كان يتجه كل خبر مهم كما الى نقطته الدينية والسياسية. فانضم الاعجاب. الى المكر وسرى الحادث الغريب بين آلاف اليهود سكان المدينة وبين آلاف السياح القادمين الى العيد الى عيد الفصح. سبق كتاب سفر الخروج وأمر بانتقاء الحمل الفصحي في شهر نيسان واتخذه قبل اربعة ايام الى حيث سوف يذبح في اورشليم في المكان الوحيد في العالم حيث يستطيع الناس تقدمة الذبائح وذبح الحمل الفصحي.

ففي احد الشعانين كانوا يختارون الحمل بين اتفافات وصراخ الشعب المتألب في هذه المدينة الصاخبة وكانوا يذبحون الحمل الفصحي نهار الجمعة المقدسة. وامضى يسوع آخر سبت له في بيت عنيا مع لعازر صديقه واختيه مريم ومرثا وانتشر الخبر بان يسوع سوف يذهب الى اورشليم ويدخل المدينة. فتألبت جماعة كانت منحدرة من اورشليم الى بيت عنيا وأتت جماعة اخرى من بيت عنيا ورافقت يسوع انتصاعد الى اورشليم وعند الملاقاة تحمس الشعب وعلت الجماهير هتافات الانتصار ورددت الأودية صدى هذه الهتافات فسرى الصوت بسر الى مسمع الرومان المتيقين الساهرين فزادوا حراسة وتيقظاً وانتشرت اصداء في مسامع الفريسيين والكتبة فهاجوا وماجوا وارغوا وازبدوا وهموا بقتل المسيح فوراً ولكنهم توقفوا عند حماسة الشعب.

اخذ رومانس بهذه الحادثة وحللها تحليلاً ادبياً ونفسياً فجاء نشيده بين الاناشيد الجميلة وقد حفظته لنا مخطوطات جزيرة باطمس كاملا غير مشوب ولا مشوّه.

يتركب النشيد من ست عشرة مقطوعة او «بيتاً» ويربط هذه المقطوعات توزيع لطيف:

نشيد الشعانين لرومانس Εἰς τὰ Βαΐα Ῥωμανοῦ.

يبدأ النشيد بالمقدمة التي هي عرض الاشخاص: المسيح، الملائكة، الاطفال والناس. وعرض للموضوع: يسوع يركب عفواً ويسمع هتاف الانتصار «مبارك انت الآتي» والغاية التي لاجلها يركب العفو «لبعث آدم» وتجدده.

فتجديد الخليقة يتم بتجديد آدم.

في المقطوعة الأولى يبدأ الشاعر بتعداد انتصارات المسيح على الجحيم والموت والعالم بانهاضه لعازر ويستقبله الشعب كظافر. ويظهر يسوع بمظهر ملك وديع متواضع يعلو عفواً ويسرع لارتشاف الالم (م ـ ٢) فتميد صهيون من الاضطراب ويبقى يسوع ملك السلام (م ـ ٣) ويعدد الشاعر عجائب يسوع ويأخذ منها فقط قيامة الاموات: اقامة لعازر وابن الارملة وابنة يائيروس ومع ذلك ينكر الشعب للمسيح (م ـ ٤) ويرجع الشاعر هذا التنكر الى طبيعة الشعب الى قدم الاجيال فيعرض امام اعين الحاضرين تنكر اليهود لموسى المشترع والمحسن الذي تجاهله شعبه وعبدوا العجل (م ـ ٥) ثم يقابل الشاعر بين المسيح الذي هو النعمة والحق وبين جوليات العاتي الذي يمثل الشريعة والحرف (م ـ ٦).

ثم تمر امام الشاعر مغارة بيت لحم القريبة من اورشليم فيقابل مشهد الاستقبال والهتافات مع هتافات الملائكة لمن ترك السماء ونجد (م—٧) وكيف اختار المسيح حالة الفقر في بيت لحم والآن ايضاً يختار الفقر فيعلو على حيوان اعجم (م—٩) ويتنازل يسوع هنا الى الصلب ويمزق الصك بصليبه (م—١٠).

وهنا يدور حوار رشيق بين الاله الخالق والبشرية الخليقة الساقطة ويفيمها ان الشريعة عاجزة على انقاذ الانسان وعاجزة على تسديد الديون المتراكمة (م—١١) وهذا التسديد للديون تم بالصليب وبالحب، بالفقر والاتضاع وتحمل الآلام وانتزاع البشر من اشداق الذئاب (م—١٢).

وهنا يصل السيد المسيح الى مقابل اورشليم فيغمرها بالحنان ويتضجع عليها كانها في يوم الافتقاد فيراها تلعب بها ايدي المخربين (م—١٣) ثم يقرعها على اعمالها الشريرة وقتلها الانبياء السابقين وها هي الآن تجرد الى داخلها لتقتله كما قتلت الانبياء (م—١٤) فيدخل يسوع المدينة وقد ارتجت كلها تحت اقدام المتألمين حول يسوع فيلج الهيكل ويطرد منه غير الجديرين ويصرح بأنه ابن الله (م—١٥).

وينهي الشاعر نشيده بصلاة ضارعة هي بمثابة خاتمة للنشيد(م—١٦).

ويرجع هذا النشيد بمصادره الى الاناجيل المقدسة ويضفي عليها الشاعر وحياً طلياً وسياقاً في العمل عذباً. ينبي الشاعر رومانس بعبقريته الخلاقة ولا يستسلم للحرف بل يعمل فيه خياله المبدع فيأخذ من الكتاب ومن الطبيعة لوحات ومشاهد تخلع على النشيد اهاباً من الجمال والروعة. هو لا يتقيد بحرفية الكتاب لكنه يحرك العمل بمهارة وحرية ويستخدم بعض الآيات من الكتاب المقدس التي يراها تبلغه انسجام الافكار وانسياق الحوادث بتكثير عميق وتأمل مع احساسات تنبع من جمال نفسه وينبوع وحيه وشعوره وخياله.

لم يبخل الشاعر علينا بصورة حقة عن المسيح الاله الانسان فهو منسجم مع تاريخ الالوهة المتجسدة التي ارادت ان تعطي البشرية صورة صحيحة عن الله. عن الاله الانسان: «يعتلي العرش في السماء والعشو على الارض» (مقدمة). وهذه الصورة تحل محل الصورة المشوهة عن الله في برجه العاجي. فالمسيح هو صورة الله في طبيعة ابناء البشر هو «اله — وانسان — سيد وخادم — مخلص ومصلوب».

لم يُكتب تناقض مثل هذا فالسيد المسيح يجمع بين النقيضين: السيادة من جهة والفقر والاتضاع والألم من جهة اخرى.

وفي النشيد يبين هذا المزيج من الالوهة والخضوع من الغنى والفقر. من العظمة والحقارة «هوذا ملكنا اللطيف الوديع يعلو صهوة عنو ويسرع لارتشاف الألم (م—٢) «ومن هو على اجنحة الشاروبيم يركب عفوًا (م—٢).

استعار المسيح مركب الصياد ليعظ الجماهير واستعار الخمس الخبزات والسمكتين ليشبع الجماهير الغفيرة وها هو يستعير العنو ليدخل المدينة.

وقد يحصل ان الله يستعيد كل ما يخص الانسان كانه يريد ان يفهمنا بأن كل الاشياء هي هبة من الله. ويكفي الناس الذين يعرفون الله ان يسمعوا بأن الله يحتاج اليهم حتى يلبوا ويعطوه كل شيء فيعرفون ان المسيح الاله الانسان: «انما صلب وحده كفارة عن الاطفال والشيوخ» (م—٢).

اننا نعجب من هذه الروح المهيمنة على المقطوعات في هذا النشيد فنحس بأن روح الله ينفح في هذه الابيات التي تعطينا صورة جميلة ولوحات بارزة عن الاله المتواضع وعن الحماس والروعة في الجماهير التي صرخت بقلب بريء وحنت الى يسوع «هوشعنا — خلص العالم» وعرفت ان خلاص البشر متوقف على المسيح وحده وهوشعنا هي صرخة الفرح والانتصار والمديح تجمعت في افواه الاطفال: «استقبلك الرضع باغصان الشجر ومجدوك كغالب صارخين «اوصنا لابن داود» (م—١).

مجدت الجماهير المخلص وعرفت فيه خلاص البشرية فوجهت له الهتافات والمدائح وكشفت فيه رسول الله للامم وقالت «مبارك الآتي باسم الرب لتبعث آدم» (م—١).

القلوب تنفتح والالسنة تندلع والجماهير تحتشد حول هذا الغالب الظافر فتهتف هتافات المجد: «اناشيد الاطفال وزمجة الجموع ترمز الى قوتك، فخلص ايها السيد هؤلاء الصارخين «اوصنا ...» (م—٨) وانتصار يسوع على الموت انتصار التواضع والحب انتصار الجودة انتصار روح الله الذي به ويوحيه يعمل «هؤلاء المتواضعين امامك: «اشفق علينا عاطفاً على الشعانين ولتكن الشعانين مستدرًا لحنانك.» (م—٨).

ويركب المسيح هذا الحيوان الاعجم لينجي الناطقين ابناء آدم: «الكلمة يمتطي الاعجم لينجي الناطقين فما أروعه منظرًا» ويرمز العفو الى

شعب الامم الذي بقي حتى ذاك اليوم بلا لجام بلا شريعة ولكنه سوف يأخذ لجام الشريعة ويكون آلة لانتصارات المسيح بدلا من الشعب اليهودي ويخدم احسن خدمة ملكوت يسوع الملك اللطيف الوديع . ويرمز الاتان الى الشعب اليهودي الذي تنكر لسيده . وبدل ان يحبه ويحترمه صلبه ، وابى ان ينشد مبارك انت الآتي لتبعث آدم » (م—٤) .

وبحق وجدارة يعد هذا النشيد بين روائع اناشيد رومانس لما فيه من روحانية مشرقة وخيال متفتح ومشاعر عميقة واتقان حيّ بحياة النبرات والمتافات المتجددة بكل لازمة من المقطوعات المترددة «مبارك انت الآتي لتبعث آدم » .

نشيد الشعانين[1]

للقديس رومانوس المرنّم

المقدمة

ايها المسيح الاله : المعتلي
العرش في السماء
والمغمور على الارض .
تقبل مديح الملائكة
ونشيد الاطفال
الهاتفين اليك :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

(١ Ἔλλη Κ. Κυριακάκη
Ῥωμανοῦ Τοῦ Μελῴδου Ὕμνοι.
Τόμος Γ' Σελ. 187-205 Ἀθῆναι 1957

١ ــ قيّدت الجحيم وصرعتَ الموت
وانهضتَ العالم: ايها المسيح ،
فاستقبلك الرضع
باغصان الشجر
ومجدوك كغالب صارخين :
« اوصنا لابن داود »
وكانهم يقولون :
لن تذبح الاطفال من بعد
من اجل طفل مريم ،
انما ستصلب وحدك
كفارة عن جميع الاطفال
والشيوخ
ولن يقوى السيف
ان ينفصلنا عنك ،
بل سيطعن جنبك بحربة[1]
لذا نقول فرحين :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

٢ ــ هوذا ملكنا اللطيف الوديع[2]
يعلو صهوة عفو
ويسرع لارتشاف الألم
لينتزع آلامنا .
الكلمة يتنطي الاعجم
لينجي الناطقين .
فما اروعه منظراً !
منْ هو على اجنحة الشاروبيم
يركب عفواً .
من وهب ايليا قديماً
مركبة من نار ليصعد بها[3] ،
يتلبس الفقر والضعة[4] .
من هو الغني من طبعه[5] ،
يرغب في الضعف..
من نفث القوة في البشر
فصرخوا قائلين :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

(١) يو ١٩–٣٤
(٢) يو ١٢–١٥ زكريا ١٩–٩
(٣) سيراخ ٤٨–٩
(٤) ٢ كور ٨–٩
(٥) فيلبي ٤–٣–٠٠

٣ — مادت صهيون كلها
كما مادت مصر سابقاً :
هذه بأوثانها الجامدة
وتلك بابنائها الاحياء .
الكل ترنح لمقدمك .
ولم تضطرب انت ، ايها المخلص :
لانك زارع السلام .
وبما انك خالق الجميع
جردت الاعداء من سحرهم كله
وطردتهم من كل مكان .
لانك سائد على كل مكان .
قديماً انهارت اصنام الأمم
والآن جميع عبدتها
حطموا اوثانهم
حين سمعوا الاطفال
ينشدون :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

٤ — « من هو هذا ؟ »
قال الذين تنكروا لك عمداً .
وقد قيل انهم لا يعرفون ابن داود .
ولا ذاك الذي حررهم
من الفساد[1] .
نزعوا عن لعازر أكفانه[2]
ولكنهم تجاهلوا باعثه من الموت .
وهؤلاء الذين رزحت اكتافهم
بجنازة ابن الارملة قديماً[3]
تنكروا لمن انتزعه من قبضة الردي
وهؤلاء الذين ما برحوا
بيت يائيروس[4]
رفضوا ان يتعرفوا
على من اعاد الحياة لابنته .
هؤلاء كلهم يعرفونك
ولكنهم يأبون ان ينشدوا لك :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم »

(١) ٢ كور ١—١٠ روما ٨—٢١
(٢) يو ١١—٤٤
(٣) لوقا ٧—١١
(٤) متى ٩—١٨

٥ — هؤلاء الكنودون الانذال
تستروا بالجبل
لئلا يعرفوا من يريدون قتله .
وابناء الكذب والتلفيق
فقدوا الايمان !
فجاروا تاريخهم الاول
وهم الآن يجددون احداثه .
لقد اخرجهم موسى من مصر
فتنكروا له فوراً[1] .
والمسيح خلصهم من الموت
فتجاهلوه .
تجاهلوا موسى
من عرفوا العجل[2] ،
وانكروا المسيح
من هم أتباع بليعال
لذا لم يريدوا ان يهتفوا :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

٦ — حيّاك الاطفال بالاغصان
ودعوك ابن داود :
وانهم لمصيبون
لانك ، ايها السيد ،
صرعت جوليات العقل العاتي .
النساء قديماً تأنقن
جوقة واحدة
وتغنين بداود الظافر قائلات :
« قتل شاول ألوفه
وداود ربواته »[3] .
شاول هو الشريعة
ومع داود نعمتك يا يسوعي[4]
الشريعة تعني شاول
الحسود الطاغية
والنعمة فرع من داود الطريق المشرد .
فانت ، ايها السيد ، رب داود[5]
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

(١) خروج ٣—١٠
(٢) خروج ٣٢—١ و ٤
(٣) ١ ملوك ١٨—٦ و ٧
(٤) يو ١—١٧
(٥) متى ٢٢—٤٣ ولوقا ١٠—١٤

٧ — الشمس مركبة نور
فبي تخدمك وتذعن لامرك .
بما انك الاله الخالق .
أيستهويك الآن عفو ؟
فاسجد لحنوك .
قديماً وضعت في مذود
ولاجلي لففت بالاقماط ؛
وعلى ظهر العفو انت الآن
مع ان السماء عرش لك .
هناك احاطت الملائكة
بمغارتك .
وهنا قادت الرسلُ
عفوك
سابقاً سمعت
« المجد لله في العلى »[1]
والآن تسمع :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

٨ — باختيارك اختفاء
اظهرت قوتك .
صورة للفقر
ركوبك متن حمار .
وبما انك سيد مجيد
مادت صهيون .
ولئن كانت اردية الرسل
ترمز الى اتضاعك ؛
فاناشيد الاطفال
وزجة الجموع ترمز الى قوتك .
فخلص اذن ؛ ايها السيد :
هؤلاء الصارخين « اوصنا »
أنقذ ؛ ايها المتعالي ؛
هؤلاء المتواضعين امامك :
واشفق علينا عاطفاً على الشعانين
ولتكن الشعانين مستدراً لحنانك :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

(١) لوقا ٢-١٤

٩ — ألزمنا آدم الدين
بأكله من الثمرة المحرمة[1] .
فغرّمنا نحن ذريته
اذ نفى ما عليه .
ولم يكتف الدائن
امتلاك المدين .
بل اثقل بالدين
بنيه .
واذ تقاضى الابُ
ديونه افرغ بيته ،
وطرد كل من فيه
الى الخارج .
ولذا نعوذ بك ؛
ايها القوي ،
لانك تعرف املاقنا .
اترك ديوننا .
فانت انت القوي :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

١٠ — اتيت تنقذ البشر كلهم
وزكريا نبيّك شاهد بهذا .
حين دعاك
« وديعاً وصديقاً ومخلصاً »[2] :
اما نحن فاضنانا التعب
وانهزمنا وتشتتنا هنا وهناك
فظننا ان امتلاك الشريعة
هو فداء لنا لكنها استعبدتنا .
وان الانبياء سوف يعتقوننا
ولكنهم ايضاً قضوا
حتى على الامل في قلوبنا .
ولهذا ترانا مع الاطفال الرضع
نضرع اليك ساجدين .
فاشفق علينا ولتكن شعانيننا
عربون حظوة في عينيك .
تنازل ، يا ربّ ، تنازل
وتقبل الصليب ومزق هذا الصك [3]
« فمبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

(١) تكوين ٣—١٦
(٢) زكريا ٩—٩
(٣) كولسي ٢—١٤

١١ — اجاب الخالق خلائقه الخارجة :

يا جبلة يدي ، لما عرفت
ان الشريعة لا تقوى على خلاصك
اتيت بنفسي ،
اجل ان الشريعة لعاجزة
عن انقاذك لانها لم تبدعك .
والانبياء كذلك عاجزون
لانهم هم ايضاً من صنع يدي ،
كما انت ،
انما يبقى لي وحدي
ان اسدد ما ترزحين تحته
من ديون .
باعني الناس من اجلك فتحررت
صُلبت من اجلك فحييت انت

قضيتُ ميتاً
لأعلّمك ان تشيدي :
« مبارك انت الآتي :
لتبعث آدم » .

١٢ — اما احببت الملائكة ؟

ولكنني لم ابخل بهذا الحب
عليك فانت فقير معدم .
واخفيت جلالي
وانا الغني صرت فقيراً بملء اختياري
واحببتك كثيراً
جعت وعطشت في سبيلك
وتردّيت باطمار الفقر
وجبت الهضاب واللجج والأودية[1]
وانا ابحث عنك انت التائه المشرد[2]
ودعيتُ حمّلاً[3]
لكي افتنك بصوتي وانقذك
ومن اجلك اريد ان اجود بذاتي
لأنتزعك انا الراعي[4] من اشداق
الذئاب .
واني اتمم كل شيء
واريد منك ان تقولي :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

(١) حزقيال ٦—٣ ، ٣٦—٤٠ و٤٦—٦
(٢) متى ١٨—١٢
(٣) يونا ١—٢٩
(٤) يو ١١—١١

١٣ — الاقوال تعقبها الافعال .

وحين بلغ يسوع المدينة
حركت اناشيد الاطفال
ضغينة اعدائه كلهم .
فرفع ابصاره
وصبها على صهيون
وتنهج عليها وقال :
« ولولي ، يا اورشليم :
لانك وجدت اطفالك
وابناءك معلمين للاباء
وانك لتباهين بالشر والخبث
واما الى الخير
فتجرين شيخوختك جرًا .
انهم لافضل منك
هؤلاء المنشدون لي :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

١٤ — سأدخلك عن قريب :

يا اورشليم : بعد ان هجرتك حينا.
انا لا ابغضك
وانما انت لا تنفكين تقابليني
بالبغض انا واتباعي .
وعلامَ ابناؤك
يعدّون لي صليبا ؟
أليس بالعصا فلقت أمامهم
البحر كثيب[1] ؟
انهم يحفرون لي لحدًا
بدل مكافأتي ،
لاني بسطت غماماً سترًا لهم[2] .
اني لاهتز طرباً
فانا لاجلهم اتيت .
انا اعشق الأمم وأهوى الخاطئ
الساقط
حتى ينشد محبيّ :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم ! » .

(١) خروج ١٤–١٦ نحميا ٩–١١ (٢) مزمور ١٠٤–٣٩

١٥ — من يرى اعماق القلوب
وبخ اورشليم البطيئة الفهم .
والكاهن الاعظم دخل الهيكل
مع جميع الاطفال .
والابن الوحيد
خشى بيت ابيه
وطرد منه من كانوا فيه
يبيعون ويشترون فقال :
لا يبقى منكم احد هنا ،
لاني انا والاب وروحي القدوس
سوف نمر معاً من هنا .
الآن وجدنا قصراً
في قلوب الودعاء
المنشدين في
باصواتهم وايمانهم :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

١٦ — يا ابن الله القدوس :
أحصنا في عداد مسبحيك
وتقبل صلاة خدامك
كما تقبلت صلاة الاطفال قديماً .
اشفق على من خلقت
وعلى من احببت
عندما حللت في ارضنا .
امنح السلام لكنائسك
التي عكرت الاعداء سلامها .
واعطني انا ايضاً اعطني
يامخلص . صفحاً عن خطاياي
هبني : يا امي ، ان انطق بما تشاء
وابعد الكآبة عني
لكي لا تثقل روحي :
واظهرني مثقلاً بالثمار
وجديراً بان اقول :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .